



عنوان المقال:

التجربة اليابانية في مجال التربية..

نموذج الترقّي بعد التردّي

أ. سيدي دريس عمار أ. شرايطية شهرة
(جامعة العربي التبسي - تبسة) (جامعة 08 ماي 1945 - قالمة)

الملخص:

أدت الإدارة وما زالت دورًا ماثلاً في إحياء الحس الفردي والجمعي لدى العنصر البشري العامل، كما أثبتت وجودها بل إكسيريها الفاعل في تفعيل النشاط الحضاري، فأكسبته بريقًا حقق له تعلقًا وتألّفًا في مدارج التطور للركب الحضاري العالمي، ومن خلال هذا البحث سيتم التعرف على اليابان في مختلف المجالات، وما هي الإدارة اليابانية؟ وفيما يكمن سر نجاحها؟

مقدمة:

ما إن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها عام 1945، بخسارة اليابان وحليفها ألمانيا، وتوقيعها معاهدة الاستسلام والتي تخلت اليابان بموجبها عن الأنشطة العسكرية، حتى انكبت الدولة اليابانية وشعبها على العمل بجد ومثابرة في الميادين السلمية، وبفعل الجهود الجبارة والعقول المتفتحة والسياسات الناجحة التي طبقت هناك، فقد حدثت ثورات علمية وصناعية متلاحقة بلغت أوجها وذروتها في ثمانينيات القرن الماضي، وفرضت اسم اليابان في المحافل الدولية، وخرجت اليابان لتفاجئ العالم كقوة اقتصادية يحسب لها حسابها، متطورة في الكثير من المجالات، لا سيما الصناعية منها والتجارية، حيث اتبعت في هذه الميادين أسلوب إدارة وقيادة ناجحة ومتطورة أدى باليابانيين إلى الاهتمام بالعمل والإنتاج وتطوير مهاراتهم ومقدرتهم، ليثبتوا للجميع وبخاصة الأمريكيين بأن أحداث (هيروشيما وناكازاكي) لم تقسم ظهورهم ولا ظهر بغيرهم، بل زادتهم إصرارًا على النجاح والتطور.

تحديد المفاهيم:**1.1. مفهوم التنمية البشرية:**

- يعرف مكتب العمل العربي التنمية البشرية بأنها مفهوم أصبح "يتضمن التركيز على أنماط التفكير والسلوك، ونوعية التعليم والتدريب ونوعية مشاركة الجماهير في اتخاذ القرار والعلاقات الاجتماعية والعادات والتقاليد، وثقافة الشعوب وطرق وأساليب العمل والإنتاج".
- هذا وهناك من يقسم مفهوم التنمية البشرية إلى شطرين، الشطر الاقتصادي "يتمثل في إنتاجية العمل، وعمادها القوي لبشرية عالية التأهيل"، والشطر الآخر سياسي اجتماعي يتعلق "بتوفير الغذاء الكافي ولبس المناسب وسكن لائق والرعاية الصحية والسياسية واكتساب المعارف والمهارات وتبين قيم العقل والعمل والحرية والكرامة والكرامة الخ".
- مما سبق يمكن صياغة مفهوم التنمية البشرية بالقول: "هي عملية تنموية مستدامة تهدف إلى الاستثمار في قدرات البشر من خلال تحسين مستواهم التعليمي والصحي والغذائي بهدف تحسين قدراتهم ومهاراتهم لزيادة الإنتاجية وتحقيق النمو" (1)

2.1. التعريف باليابان:

تقع دولة اليابان في شمال المحيط الهادئ في أقصى شرق قارة آسيا ، ويفصلها عن الصين بحر الصين الشرقي ، وعن الاتحاد السوفييتي وكوريا من الغرب بحر اليابان، وعن جزر سخالين وكوريلز السوفييتية مضيق بيراوز وبحر خوتسك ومضيق نوميرو، ويحد كل جزرها من الشرق المحيط الهادئ. وهي تتكون من أربع جزر كبيرة تكون 95% من المساحة الكلية للبلاد ، تتبعها ثلاثة آلاف جزيرة صغيرة تكون الباقي ، لذا فاليابان لا ترتبط بحدود برية مع أية دولة أخرى ، ولهذا العامل أثره في الحروب والنزاعات ، وأساليب الزحف ودفع الجيوش ، والهجوم والدفاع .

كما أن هذا الموقع النائي عن أوروبا ومراكز الحضارة الأخرى جعل اليابان بعيدة- نوعاً ما - عن التأثير المباشر السريع بتلك المراكز ، ولكن هذا لا يعني أنها ظلت في عزلة تامة عن أفكار الأمم الأخرى وعاداتها التي أخذت تتخلل البلاد ، أو أنهم - اليابانيون - ظلوا في حياد تام عن مستجدات الحياة المعاصرة في باقي دول العالم ، فالتأمل أو الدارس لحياة اليابانيين عبر التاريخ يجد تشرياً متفاوتاً للأفكار والثقافات الأجنبية ، بل في بعض الأزمنة تجد شبه إجماع لديهم على الاستفادة من حياة الأجانب وخبراتهم ، ورغم تأثير الثقافة الصينية في ما قبل الزمن الحديث ، والتأثيرات الغربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ، فالدارس لا يستطيع إهمال أو تحييد متانة الأفكار والعادات والأعراف اليابانية الراسخة التي ما زالت مستقرة حتى اليوم(2). ويدعو اليابانيون بلادهم بـ "نيبون" أو "نيهون" ، ومعناها أصل الشمس، وقد نشأ هذا الاسم من موقع البلاد شرق امبراطوريات الصين العظمى التي سيطرت على آسيا معظم تاريخها(3)

وتبلغ مساحة اليابان 377,837 كم ، وهي مساحة تقارب مساحة فرنسا أو ألمانيا ، وبلغ عدد سكانها 127 مليوناً عام 2003 بكثافة سكانية قدرها 337 للكيلو متر الواحد ، وهي من أقل البلاد ارتفاعاً في النمو السكاني الذي لا يتعدى 0,11 ، ويعيش 79% من السكان في المدن والباقي في الأرياف ، أما معدل الأعمار فهو 84 عاماً للإناث و 77 عاماً للرجال ، ويشكل اليابانيون 99,4 من السكان ، ويشكل الأجناس الأخرى 0,6 معظمهم كوريون، ويشكل البوذيون 55% من السكان ، والمسيحيون 4% ، والشنتو (التي تقوم على تقديس أرواح الأباطرة والأبطال والقوى الطبيعية) 3% ، واللا دينيون 10% ، وتشكل الأديان الأخرى 28%. وتسيطر الطبيعة الجبلية على مساحة البلاد ، فتشكل 75 - 80% من مسطحها، مما أوجد عزلة - في الماضي - لبعض المناطق فيها لصعوبة

النتقل ، ولكن التقدم العلمي حل المشكلة بالجسور والأنفاق والنقل الجوي ، فلم تعد الجبال مشكلة لأصحاب الهمم العالية الذين يريدون العمل لوطنهم وشعبهم ، ولكن اليابانيين حافظوا على جمال الجبال لأسباب أدبية وجمالية فاحتفظوا بالكثير منها في المنتزهات الوطنية للفرجة والمتعة ، وترتفع جبال الألب اليابانية 3050 متراً عن سطح البحر ، وإذا كان اليابانيون يعتقدون بان جزرهم الكثيرة قد خلقتها الآلهة التي غمست رمحاً ذهبياً في طين البحر ، فإن علماءهم اليوم يخبروننا أنها نتوءات تشكلت من قمم سلاسل الجبال الواقعة تحت مياه البحار (وهذا بالطبع أقرب للتصديق من التفسير الأول !) .

وقد تسببت الطبيعة التصادمية للصفائح الأرضية للقشرة الأرضية في ثورات بركانية التي تدفع بالجبال إلى سطح البحار ، فالعوامل التي أوجدت الجزر ما زالت عاملة ناشطة ، لذا هناك 40 بركاناً ناشطاً من بين 188 بركان تعانيها البلاد ، والرقم الأول يشكل 10% من براكين العالم الناشطة ، والكل يخلف رواسب بركانية ورماداً يغطي 25% من مساحة اليابان ، هذا إلى جانب الزلازل المستمرة وعددها ألف هزة كل عام ، ولكن الزلازل المدمرة قليلة وتحدث كل 5 سنوات ، وفي العصر الحديث أخذ اليابانيون يشيدون مبانيهم بأساليب هيكلية مدعومة بالمعادن تقاوم النشاط الزلزالي(4).

وقد كان للتكوين الجزري للبلاد آثاره السلبية عليها ، فقد شكل هذا العامل مشكلة كبيرة امام تزايد السكان ، وحاجتهم الملحة للمنتجات الزراعية والنفطية ، لذا اختار قادتها الخيار الأصعب وهو التوسع بالقوة على حساب دول الجوار وممتلكاتها ، مما كان له الأثر البالغ على مسيرة الأحداث في تلك المنطقة في العصر الحديث ، والذي سنأتي عليه مفصلاً في الفصول القادمة. أما جزرها الأربع الرئيسية فتمتد 1900 كم من الشمال إلى الجنوب ، و1500 كم من الشرق إلى الغرب ، وأوردها هنا مرتبة حسب المساحة، وهي :

1- **هونشو:** وهي الجزيرة الرئيسية ، ومساحتها 231,100 كم ، ويبلغ تعداد سكانها 98 مليوناً تقريباً، وتقع بين جزيرة هوكايدو في الشمال الشرقي وكيوشو في الجنوب الغربي ، وتتبعها 382 جزيرة صغيرة ، وتتكون من سلسلة من الجبال البركانية المعرضة للزلازل المتوالية ، وتقع فيها أعلى قمة في اليابان وهي فوجياما وارتفاعها 3776 متراً ، كما تحتضن العاصمة طوكيو أكثف مدن العالم سكاناً (حوالي 9 ملايين نسمة) ، ومدن يوكوهاما وأوساكا وميناء كوب، وتنتج هونشو معظم شاي اليابان وحريرها ، وهي المركز الصناعي الأول في البلاد.

2- **هوكايدو** : أطلق عليها هذا الإسم عام 1868 ، ومعناه " أرض البحر الشمالي " ، وتقع في أقصى شمال البلاد ، ويفصلها عن هونشو مضيق تساكارو ، ومساحتها 83,500 كم ، ويبلغ سكانها حوالي ستة ملايين ، ومصادرها الطبيعية الفحم والزئبق والمنغنيز والنفط والغاز الطبيعي والفحم والحديد والأخشاب والأسمك ، ومن مدنها سابارو وهاكديت وأوتارو .

3- **كيوشو** : وتبلغ مساحتها 42,150 كم ، ويشمل ذلك 370 جزيرة تتبعها ، وعدد سكانها حوالي 14 مليوناً ، وتقع في أقصى الجنوب ، ويفصلها عن شيكوكو وهونشو قناة بنغو وخليج سو ، وترتبط بهونشو بجسر ونفق لسكة الحديد ، وقد استغلت طبيعتها الجبلية في الزراعة ، واهم منتوجاتها الفحم والذهب والفضة والحديد والقصدير والشاي والأرز .

المساحة بالكيلو متر	الجزيرة	4- شيكوكو :وتقع جنوب هونشو وشرق كيوشو وهي أصغر الجزر الأربع، ومساحتها 18.800 كم، وعدد سكانها 5 م ن، وتنتج الأرز والقمح وفول الصويا وقصب السكر والفاكهة والملح والنحاس. وتلي الجزر الأربع الكبرى مجموعة من الجزر الأقل مساحة وهي:
862	أمامي أوشيما	وتملك اليابان عدداً من الجزر البعيدة عنها، مثل جزر
857	سادو	روكويو التي تضم جزر أكيناوا وأمامي وساكيشمو وتبعد عن
591	أواجي	كيوشو 1200 كم، وجزر وايزو وفولكينو، وتبعد عن العاصمة
570	أماكوساما شيمو	طوكيو 1100 كم ، كما تدعي اليابان ملكيتها لجزر جنوبية
500	ياكو	بعيدة مثل كوريل وانتورب وكانشير وشكوتان وهابومي، وقد استولى الإتحاد السوفييتي على هذه الجزر
449	تين	لدى اقتسام الغنائم بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد تفكك الإتحاد عام 1991 استولت عليها روسيا.
435	سوشيما شيمو	أما أهم المدن فهي :
326	فوكو	
246	سوشيما كامى	
246	دوغو	
104	أوغاساوارا جنتو	

أما أهم المدن فهي :

1- **طوكيو** :عاصمة البلاد ، وأكثف مدن العالم سكاناً ، وتقع في جزيرة هونشو ، تأسست في القرن الثاني عشر كقرية باسم إيدو ، وقد غير اسمها عام 1868 بعد انتقال الإمبراطور إليها من مدينة كيوتو ، وقد تعرضت لزلزال قوي عام 1923 فقتل 58 ألفاً من سكانها ، تعد المركز الإداري والمالي والتعليمي والثقافي للبلاد ، أعيد بناؤها بعد الدمار الهائل الذي حاق بها خلال الحرب العالمية الثانية .

2- **يوكوهاما** : تقع في جزيرة هنشو على خليج طوكيو ، دمرها زلزال عام 1923 ، ويبلغ تعداد سكانها 3,5 مليون نسمة .

3- **أوساكا** : ميناء صناعي على جزيرة هنشو وثاني مدينة أهمية صناعياً وتجارياً ، وعدد سكانها 2,5 مليون نسمة ، وهي أقدم المدن اليابانية ، كانت مركز الحكومة ما بين القرنين الرابع والثامن ، من أهم منتوجاتها صناعة السفن والمواد الكيماوية والأقمشة ، ومن مبانيها التاريخية القصور الإمبراطورية ومعابد بوذية تعود إلى القرن الرابع للميلاد .

4- **سابورو** : عاصمة جزيرة هوكايدو ، وعدد سكانها 1,9 مليون نسمة ، تشتهر بصناعة المطاط وتصنيع الأطعمة ، أقيمت فيها الألعاب الأولمبية الشتوية عام 1972 ، ويقام فيها مهرجان سنوي لمجسمات ضخمة مصنوعة من الثلج .

5- **كوب** : وعدد سكانها 1,5 مليون نسمة ، وتقع في جنوب جزيرة هنشو على خليج أوساكا ، وهي الميناء الرئيسي لصناعات أوساكا ومناطق سهل كينكي ، وأهم منتوجاتها صناعة السفن، والسكر والمطاط والمعادن، وقد ضربها زلزال عنيف عام 1995 فقتل 5 آلاف وجرح 35 ألفاً وأحدث دماراً هائلاً.

6- **هيروشيما** : وهي مدينة صناعية وميناء في أقصى جنوب جزيرة هونشو ، دمر معظمها بأول استخدام للسلاح النووي عندما قصفها الأمريكيون به في السادس من آب 1945 ، وقد أعيد بناؤها عام 1955 ، ويبلغ عدد سكانها 1,3 مليون نسمة.

1- **ناجازاكي**: المدينة الثانية المنكوبة بالقصف النووي الأمريكي عام 1945، وهي ميناء على الجزيرة كيوشو، وتنتج الفحم والحديد، ويبلغ عدد سكانها حوالي 600 ألف ن.

❖ نظام الحكم:

الامبراطور هو رمز الدولة ، وهي ذات حكم نيابي ، وبرلمانها (الدايت) مكون من مجلس للنواب وعدد أعضائه 512 نائباً ، ومجلس الشيوخ وعدد أعضائه 252 عضواً ، ومجلس للوزراء لا وجود فيه لوزير للدفاع ، وعدد محافظات اليابان 47 محافظة ، وفيها خمسة أحزاب سياسية هي :

- 1- الحزب الليبرالي الديمقراطي الحاكم وقد تأسس عام 1955 .
- 2- الحزب الاشتراكي الياباني ، وتأسس عام 1945 .
- 3- حزب الكومي ، وتأسس عام 1964 .

- 4- الحزب الاشتراكي الديمقراطي ، وتأسس عام 1960.
الحزب الشيوعي الياباني ، وتأسس عام 1922 (5).

2. التجربة اليابانية.. نموذج الترقى بعد التردى:

كتب السفير الأمريكي «إدوين آشور» كتابًا بعنوان «اليابانيون» طرح فيه سؤالاً جوهرياً، ما سر اليابان؟ وما سر نهوضها؟ وأجاب بأن سر نهوضها شيئان اثنان هما: إرادة الانتقام من التاريخ، وبناء الإنسان، هذا هو الذي نهض باليابان إرادة الانتقام من تاريخ تحدى أمة هزمت وأهينت فردت على الهزيمة بهذا النهوض العظيم، وبناء الإنسان الذي كرسه نظام التعليم والثقافة.

فالنقلة النوعية التي أحدثها الشعب الياباني في التاريخ الإنساني المعاصر تعد مثلاً أعلى لشعوب العالم، ولا غرو فهزيمة كبرى تلحق به في الحرب العالمية الثانية تثير في نفوس أبنائه الغيرة على بلادهم، وتلهب نيران الحماسة في صدور شبابه على مستقبلهم ومكانتهم بين دول العالم، ولذا فهم استمروا في المحاولات وظلوا وما زالوا يبحثون عن السبل التي تمكنهم من الرقي والتقدم، وما انفكوا حتى حولوا بلادهم إلى مكانتها المتقدمة بين شعوب الأرض قاطبة، فأصبح اسم اليابان مطبوعاً في أذهاننا ؛ لما يقدمه ذلك البلد من اختراعات وصناعات للعالم، ذلك البلد الذي لم تنته الحروب عن التقدم والازدهار، وعكف على بناء نفسه، وأدرك قادته أن لا سيادة لهم إلا بالعلم واليد العاملة.

بعد كارثة مفاجئة تمثلت في هزيمة مؤلمة من قبل قوات الحلفاء عند نهاية الحرب العالمية الثانية فقد كثير من الناس والسياسيين الأمل في قدرة هذه الدولة على أن تقف على قدميها من جديد؛ لأنها تراجعت إلى دولة مهزومة من دول العالم الثالث، لم يكن من المتوقع لها أن تقف على قدميها، فكيف بقدرتها على أن تهيمن على الواجهة العالمية بعد عقدين من نهاية الحرب العالمية الثانية. تلك الهزيمة النكراء والخسائر البشرية الهائلة والدمار غير المحدود كانت أسباباً حقيقية لتموت تلك الدولة بمن فيها، لكن العزيمة والإرادة كانتا تملآن نفوس اليابانيين..

1.2. عوامل النهضة اليابانية بعد الحرب:

في كتابه المتميز «أسرار الإدارة اليابانية» حاول الدكتور حسين حمادي أن يجيب عن السؤال المهم: «ما الذي فعله إنسان اليابان لتخطي خسارة الحرب؟ وكيف وضع نفسه على الطريق لكي يجعل من اليابان واحدة من أكبر ثلاث قوى اقتصادية في عالمنا المعاصر؟» فيقول إن هذا الإنسان لم يرغب عن باله أن أكثر من مئة مليون من الناس يجب أن يعيشوا في رقعة من الأرض لا تتجاوز مساحتها 380 ألف كيلو

متر مربع تغطي الجبال البركانية نحو 85% منها، هذا مع غياب شبه كامل لأي نوع من الثروات والموارد الطبيعية. وقبل ذلك، ومنذ تولي الإمبراطور ميحي مقاليد الحكم بمساعدة رجال الساموراي عام 1867م، كان التصور أن حل المشكلة القومية لليابان هو التحديث، بأن تصبح اليابان دولة عصرية قوية تدخل في المجال الصناعي بكل قوة، ولا بد لها من فتح الأسواق الخارجية بالقوة، والحل يكمن في التوسع الأفقي على حساب الجيران، حيث القوة العسكرية هي المفتاح لتحقيق هذا التوسع. وهكذا انتصر الجيش الياباني في حربه مع الصين عام 1895م، ثم انتصر على روسيا عام 1905م، ثم على كوريا عام 1910م، ثم دخلت اليابان الحرب العالمية الأولى، ثم الثانية لتستولي على الهند الصينية والفلبين والملايو وسنغافورة وبورما وتايلاند. ولكن هذا كله لم يوصل إلا إلى الاستسلام غير المشروط عام 1945م، والذي كان البديل الطبيعي له الانتحار القومي لليابان بأسرها. من هنا انتهى إنسان اليابان، كما يقول الدكتور حمادي في كتابه الشيق، إلى البحث عن طريق آخر وقرار جديد، وكان أساس هذا القرار الجديد أن الحل يقع داخل حدود اليابان، وأنه مرتبط بالإنسان الياباني وبالعقل الياباني. ومن هنا جاء دور النظام التعليمي في اليابان لكي يأخذ القرار القومي ويصبه بكل قوة في عقل إنسان اليابان الجديد، ومن ثم انتهى إنسان اليابان بعد الحرب العالمية الثانية إلى أن القرار القومي يكون بالتوسع الرأسي من خلال إنسان اليابان وعقله، وليس بالتوسع الأفقي باستخدام السلاح الياباني (6). ويمكن تلخيص عوامل النهضة في اليابان من خلال استعراض النقاط التالية:

2.2. الإدارة اليابانية:

من أبرز عوامل النهضة اليابانية بعد انهيار الاقتصاد الياباني عقب هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية ما عُرف «بالإدارة اليابانية»، بمعنى تطبيق مبادئ إدارية حديثة من بينها إدارة الجودة الكاملة، والعمل ضمن فريق عمل «روح الفريق»، وإتقان العمل الإداري وتحويله إلى قيمة اجتماعية مرتبطة بالثقافة اليابانية، والابتكار والتطوير، إلى غير ذلك من المبادئ والمفاهيم الإدارية الفعالة. وإذا ما علمنا أن اليابان لا تمتلك أي موارد طبيعية، وتقع في موقع جغرافي ناءٍ، أدركنا أن العنصر البشري هو عماد وركيزة التنمية والنهضة اليابانية، والذي ركزت عليه برامج التنمية الاقتصادية اليابانية. ولا غرو أن العنصر البشري أهم ركائز التنمية والنهضة في أي مجتمع، لذا يأتي الاستثمار في العنصر البشري من أوليات خطط التنمية والنهضة في كل المجتمعات. ومرد ذلك يعود إلى عدة عوامل من بينها: التنشئة والتربية الاجتماعية، ومناهج التعليم، وأنظمة وبيئة العمل، وغير ذلك. إن العمل ضمن فريق عمل محدد له تنظيم إداري، كفيل بأن يتيح لفريق العمل إنجاز المهام المنوطة به، ولعل من أبرز ملامح ذلك ما يلي: تحديد مهمة الفريق

بشكل واضح، وحجم فريق العمل، وتعيين رئيس لفريق العمل مع تحديد واجبات وصلاحيات كل عضو في الفريق، وتحديد الوقت اللازم لإنجاز المهمة، ويتوجب أن يكون تشكيل فريق العمل متماسكاً مع أهداف ومهام الفريق.

3.2. الشخصية اليابانية:

فالشخصية اليابانية منضبطة، تقدر الوقت، وتحترم النظام، وتبدع من ضمن الفريق الواحد، وتلتزم وبشدة بأداب التعامل، وأخلاقيات المتاجرة رفيعة وموصوفة بالصدق والأمانة. وهناك إحساس عام بالأمن والأمان في اليابان لتوافر الوظيفة المنتجة والتأمين لمعظم الخدمات الاجتماعية. وهذه الأخلاقيات نابعة من الاهتمام بالبرامج التعليمية المتعلقة بالأخلاقيات والسلوك للمواطن، ومنذ الصغر في البيت والمجتمع والمدرسة. كما أن محاسبة القانون صارمة للمخالفين، والإحساس بالعيب المجتمعي الذي يخلق بالمواطن الياباني منذ صغره قاسية. ولا يرحم القانون الياباني الغني أو الفقير، الوزير أو الغفير، فحينما تكتشف المخالفات، تدرس أسباب حدوثها، ويحاسب مرتكبوها، وتمنع تكررها. بالإضافة إلى أن القيم المجتمعية اليابانية تفرض على الشخص الاعتذار. لذلك يعتذرون ويعترفون بأخطائهم في معظم الأحيان. ولقد حاولت الثقافة الأمريكية تعزيز الشخصية الفردية والقيم الفردية في الإنسان الياباني من خلال الدستور وقانون التعليم، والذي يخالف تماماً القيم اليابانية الأخلاقية والدينية في التأكيد على أهمية المجتمع والطبيعة والتناغم الجميل بينهما. وفي عام 1989 نجح اليابانيون في مراجعة البرامج التعليمية وتطهيرها من القيم الفردية المستوردة، وأضيفت برامج السلوك والأخلاقيات بصيغة متكاملة على أن تراجع كلياً كل عشر سنوات. وقد أدخلت مادة السلوك والأخلاقيات بتناغم في جميع المواد المدرسية ونشاطاتها بالإضافة لبرنامج متخصص في الأخلاقيات يقدم ساعة كل أسبوع على مدار السنة وفي جميع السنوات الدراسية.

4.2. المعلم الياباني:

يعكس دور المعلم في اليابان في مختلف المراحل اهتمام اليابانيين بالتعليم وحماسهم له، ومدى تقديرهم له، فالمعلمون يحظون باحترام وتقدير ومكانة اجتماعية مرموقة، ويتضح ذلك من خلال النظرة الاجتماعية المرموقة لهم، وكذلك المرتبات المغرية التي توفر لهم حياة مستقرة كريمة، ويتساوى في ذلك المعلمون والمعلمات. ويتضح كذلك من خلال التهافت على شغل هذه الوظيفة المرموقة في المجتمع. فمعظم هؤلاء المعلمين هم من خريجي الجامعات، ولكنهم لا يحصلون على هذه الوظيفة إلا بعد اجتياز اختبارات قبول شاقة، تحريرية وشفوية. وبالطبع نسبة التنافس على هذه الوظيفة شديدة أيضاً، وهم بشكل عام يعكسون أيضاً نظرة المجتمع إليهم، ويعكسون أيضاً صورة الالتزام وروح الجماعة والتفاني في العمل عند اليابانيين.

فهم إلى جانب عملهم في المدرسة وقيامهم بتدريبات ودراسات لرفع مستوياتهم العلمية، فهم يهتمون بدقائق الأمور الخاصة بتلاميذهم، كما يقوم المعلمون بزيارات دورية إلى منازل التلاميذ أو الطلاب للاطمئنان على المناخ العام لاستذكار التلاميذ من ناحية، ومن ناحية أخرى يؤكدون التواصل مع الأسرة وأهمية دورها المتكامل مع المدرسة (7).

5.2. التعليم الياباني بين المركزية واللامركزية

يمزج نظام التعليم الياباني بين النظام المركزي كأساس ونظام اللامركزية في التعليم، وتتميز اليابان بشكل عام بأن نظام تعليمها يغلب عليه طابع المركزية. ومن إيجابيات هذا المبدأ في التعليم توفير المساواة في التعليم ونوعيته لمختلف فئات الشعب على مستوى الدولة، وبذلك يتم تزويد كل طفل بأساس معرفي واحد، حيث تُقرر وزارة التعليم اليابانية الإطار العام للمقررات الدراسية في المواد كافة، بل ويُفصل محتوى ومنهج كل مادة وعدد ساعات تدريسها، وبذلك يتم ضمان تدريس منهج واحد لكل فرد في الشعب في أي مدرسة وفي الوقت المحدد له. والوزارة مسئولة عن التخطيط لتطوير العملية التعليمية على مستوى اليابان، كما تقوم بإدارة العديد من المؤسسات التربوية بما فيها الجامعات والكليات المتوسطة والفنية. ولكن لا يعني ذلك أن مركزية التعليم مطلقة في اليابان، فهناك قسط أيضاً من اللامركزية حيث يوجد في كل مقاطعة من مقاطعات اليابان مجلس تعليم خاص بها، ويعتبر السلطة المسئولة عن التعليم وإدارته وتنفيذه في هذه المقاطعة.

6.2. بدايات التعليم في النموذج الياباني:

مع أن هذا البلد هو الوحيد الذي قصف بالأسلحة النووي، واستسلم بدون قيد أو شرط، وسرح جيشه البالغ خمسة ملايين جندي، ونفض يده من كل الآلة العسكرية المخيفة التي بناها بيديه وعرق جبينه، ولكنه لم يحرر بلده بحرب تحرير فينتامية أو جهاد أفغاني بل بطريقة امتاز بها هذا الشعب. وذلك لا يعود إلى سبتمبر عام 1945م، عندما وقع على وثيقة الاستسلام على ظهر البارجة الأمريكية ميسوري، بل يعود إلى زمن أبعد، عام 1868م عندما أصدر (العهد الميجي) في عهد الإمبراطور (موتسو هيتو) الذي بدأ حكمه في 1852/11/3م وكان شاباً ذكياً متفتحاً وسمي عهده (الميجي) أي الحكم المستنير. وبواسطة هذا العهد تم إرساء قواعد نهضة اليابان الحديثة. وأهم فقرة في هذا العهد هي الخامسة التي تنص على التعليم: (سوف يجري العمل على جمع المعارف من شتى أنحاء العالم أجمع، وعلى هذا النحو سوف ترسخ الإمبراطورية على أسس متينة).

فلا تكاد تنتظر إلى أي جهة من جهات النهضة اليابانية دون أن ترى موضوع التعليم يقابلك بوضوح، وبدأت إصلاحات النظام التعليمي الحديث في اليابان في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، ثم انتعشت في بداية القرن العشرين. وعندما دخلت اليابان الحرب العالمية الثانية كانت لديها قاعدة صناعية وتعليمية، وبعد الحرب تحول التعليم الياباني إلى تعليم يعتمد التدريب على التفكير أكثر مما يعتمد على النقل والحفظ. ومع مرور الزمن استقرت هذه المفاهيم في نظام تعليمي مركب، أصبح يشد خبراء التعليم في العالم.. وأصبحت مناهج التربية والتعليم اليابانية اليوم من المناهج العالمية التي تنتظر إليها وتحاول تقليدها الأمم الأخرى.

وفي هذا الصدد يعقد «إدوين أشاور» مقارنات غريبة جدًا في كتابه «اليابانيون»، استنتج خلالها أن الطفل الياباني يحصل على نتائج عالية في الاختبارات الدولية التي تقيس القدرات في الرياضيات والعلوم أكثر من الطفل الأمريكي والبريطاني والفرنسي وغيرهم من الجنسيات الأخرى. أما طالب المرحلة الثانوية البالغ من العمر 14 عامًا فيكون قد تعرض لتعليم ومعرفة لم يتعرض له طالب أمريكي إلا إذا بلغ من العمر 17 أو 18 عامًا، لماذا؟ لسلامة نظام التعليم الياباني، ويقول: إن سر نهوض اليابان هو المورد البشري وتنمية هذا المورد العظيم، مما جعل اليابان تتقدم على الصعيد العالمي في نسبة العلماء والمهندسين (60.000 لكل مليون نسمة)، وينخرط نحو (800.000) ياباني في مراكز الأبحاث والتطوير، وهذا العدد تجاوز ما لدى بريطانيا وألمانيا وفرنسا مجتمعة معًا.

7.2. نظام التعليم في اليابان بعد الحرب العالمية الثانية:

استسلمت اليابان وقبلت باتفاقية بوتسدام في سبتمبر (1945)، ونفذت بنود الاتفاقية، وكان أولها إبعاد جميع العناصر التي كانت في السلطة أثناء الحرب، أدخلت سلطات الاحتلال الأمريكي تغييرات في النظام التربوي الياباني، منها، تسريح المعلمين الذين كانوا دعاة للتعصب والمتعاونين مع السلطات أثناء الحرب. وقد صدرت لائحة إدارة نظام التعليم في تشرين الثاني (1945). ثم أجرت البعثة التعليمية الأمريكية الأولى بعض التغييرات في نظام التعليم الياباني في آذار (1946)، حيث دعت إلى تغيير نمط الإدارة التربوية والتعليمية المركزية إلى إدارة لا مركزية، وتوسيع سلطة الإدارات المحلية في الإشراف، وإنشاء لجان تعليمية تنتخب بطريقة علنية، وكذلك دعت إلى إصلاح اللغة اليابانية واستبدال القنوات المتعددة والمنفصلة في التعليم الثانوي والعالي، وإصلاح نظام تدريب المدرسين وإجراء تغييرات أساسية في التعليم العالي من أجل توفير فرص متزايدة ومتساوية في القبول في الجامعات ومعاهد التعليم العالي. وغيرت مناهج التاريخ والجغرافية بما ينسجم وأغراض قوات الاحتلال، ودعت إلى اهتمام خاص بالتعليم المهني بجميع مستوياته.

وصدر في آذار (1947) قانون التربية المدرسية الذي تضمن مبادئ عامة لنظام التربية والتعليم ومبادئ تفصيلية تخص كل مرحلة ونوع تعليمي بما فيها إنشاء وإلغاء أقسام معينة في الجامعات، ووضع شروط تشغيل مديري المدارس والمعلمين منها؛ أن يمتلك شهادة إكمال الدراسة في مؤسسات إعداد المعلمين، وألا يكون من ذوي الشخصيات الاجتماعية الهزيلة، وسمح لهم باستخدام العقوبات تجاه التلاميذ لكنها محددة بضوابط معينة وحرمة العقاب الجسدي، فرض على المدارس الخاصة وضع ميزانية للدخل وتسلم إلى السلطات المختصة.

أما القانون الثاني، القانون الأساسي للتعليم فحدد أهداف التربية، منها النمو الكامل لشخصية الفرد من أجل رفعة وتقديم الأفراد وتنمية حب الحقيقة والعدالة وتقدير قيمة الآخرين واحترام العمل وتعميق شعور تحمل المسؤولية والاعتماد على النفس والاستقلال، وكذلك تنمية الثقافة من خلال الاحترام المتبادل والتعاون واحترام الحرية الأكاديمية والحياة الواقعية... وأكد أيضا على إعطاء فرص متساوية للجميع من أجل الحصول على التعليم، والدولة سوف تعطي مساعدات مالية للذين لا يستطيعون الاستمرار في نوع التعليم الذي يلائمهم لأسباب مالية. والقانون أرغم أولياء أمور الأطفال على إرسال أبنائهم للمدارس يكملون (9) سنوات التعليم الأساسي. وأكد القانون على أن الأهداف الدينية ومكانة الدين في الحياة الاجتماعية سوف تحترم في الأنشطة التربوية، غير أن المدارس بحكم القانون تحجم أية تربية دينية لدين معين.

8.2. السلم التعليمي في اليابان:

ينقسم السلم التعليمي في اليابان إلى أربع مراحل هي كالتالي: المرحلة الأولى: مرحلة رياض الأطفال: من سن ثلاث سنوات إلى خمس، وتهدف إلى تهيئة الأطفال للمدرسة ومساعدتهم على النمو العقلي والجسمي السليمين من خلال تنمية قدراتهم على التفكير والسلوك، والقدرة على التعبير، وتقديم الأنشطة التي يحتاجها الأطفال. المرحلة الثانية: مرحلة التعليم الابتدائي: ويقيد بهذه المرحلة جميع الأطفال الذين بلغوا السنة السادسة، وتهدف تلك المرحلة إلى إتاحة الفرصة للأطفال للنمو المتكامل طبقا لقدراتهم الجسمية والعقلية والنفسية. المرحلة الثالثة: مرحلة التعليم الثانوي: وتنقسم هذه المرحلة إلى مستويين (المدرسة الثانوية الدنيا) وتقابل مرحلة التعليم المتوسط (الإعدادي) في الدول العربية و(المدرسة الثانوية العليا)، أما مرحلة التعليم الثانوي الدنيا، فيدخل بها جميع الأطفال الذي أنهوا المرحلة الابتدائية إجبارا، ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات. أما المرحلة الثانوية العليا فيلتحق بها الطلاب بعد اختبار مسابقة صعب، ويضم هذا التعليم ثلاثة أنواع من الدراسة: دراسة كل الوقت، ودراسة بعض الوقت، ودراسة بالمراسلة، ويهدف هذا النوع من التعليم إلى مد الطلاب بالمعلومات الأكاديمية والفنية التي تتناسب مع قدراتهم الجسمية والعقلية، ومدة الدراسة بها ثلاث

سنوات بالنسبة لمدارس الوقت الكامل، وأربع سنوات في مدارس المراسلة ومدارس بعض الوقت، والدراسة إما نهائية أو ليلية. المرحلة الرابعة: مرحلة التعليم العالي: وهي المرحلة التالية للتعليم الثانوي، والدراسة بها متنوعة لمدة أربع سنوات أو خمس حسب نوع الكلية.

أما بالنسبة لإدارة التعليم فيمكن القول بصفة عامة: إن إدارة التعليم تنقسمها الحكومة القومية والحكومات المحلية، فوزارة التعليم مسئولة عن إدارة الخدمات الحكومية على المستوى القومي وجميع المستويات التعليمية بما فيها المستوى الثالث، كما أن بعض المحافظين ومديري الجامعات الإقليمية والكليات لهم بعض المسؤوليات التعليمية. ويلاحظ أن عملية تعميم التعليم الابتدائي، وزيادة مدة الإلزام لم تتم بطريقة عشوائية بل تمت وفق تخطيط دقيق خلال مراحل ثلاث بدءاً من عام 1886م. حتى أصبح في الإمكان زيادة الإلزام إلى ست سنوات في عام 1908، ثم أخذ بالنظام الأميركي عام 1947م. فأضيفت المدرسة الثانوية الدنيا إلى التعليم الإلزامي، وبذلك أصبح التعليم الإجباري لمدة تسع سنوات، وبإمكانية استيعاب تجاوزت 99,9%. وإذا كانت الإحصائيات قد أشارت إلى أن اليابان قد أسرفت في استثماراتها في التعليم بالنسبة لنصيب الفرد من الدخل القومي، فإن سرعة التنمية الاقتصادية ووصول اليابان إلى مستوى اقتصادي وتكنولوجي كبير يوحى بوجود رابطة سببية بين القوى العاملة المتعلمة والنمو الاقتصادي هو ما بدأتها اليابان حينما وضعت استثماراتها الضخمة في تنمية نظامها التعليمي، فكانت نتيجة ذلك ما حققته من تقدم اقتصادي كبير. كما أن ارتباط مدارس رياض الأطفال بالسلم التعليمي منذ البداية كان له تأثيره في تطوير وتنمية النظام التعليمي وبذلك كانت اليابان دولة رائدة في هذا النوع من التعليم ليس في آسيا فقط بل في العالم أجمع (8).

9.2. خصائص التربية اليابانية:

من أهم ملامح وخصائص نظام التعليم الياباني ما يلي:

- 1- يستمد النظام التربوي الياباني أهم مقوماته من طبيعة مجتمعه وروح أمته واحتياجات وطنه، ولا يأتي انعكاساً لنماذج تربوية خارجية.
- 2- يستمد النظام الياباني نهضته الحديثة من جذوره ومؤسساته وتقاليده المتأصلة والقائمة بالفعل ولم يدمرها أو يهملها بدعوى قدمها وتقليديتها.
- 3- يعد التعليم في اليابان خدمة وطنية عامة وواجباً قومياً يتجاوز أي جهد فردي أو فئوي خاص، وأنه في مناهجه ومقرراته وتوجيهاته يمثل عامل التوحيد الأهم لعقل الأمة وضميرها منذ مراحل التعليم الإلزامية الأولى، إذ لا يسمح فيه بتعددية المناهج والفلسفات التربوية.

- 4- لم تأخذ اليابان بالنزعات الليبرالية والسيكولوجية الغربية بل ظلت متمسكة بقيم الانضباط الموحد في الفكر والسلوك رغم الضغط المعاكس من الاحتلال الأمريكي ورغم النقد الغربي لها.
- 5- نقطة القوة الأساسية في النظام التربوي الياباني ليست جامعاته، إنما معاهده التقنية المتوسطة التي تمثل عموده الفقري، والممارسة العملية التدريبية هي أهم وأبرز واجبات الياباني منذ طفولته عندما يقوم بتنظيف صفه ومدرسته إلى ما بعد تخرجه عندما يبدأ من جديد التدريب الوظيفي في برامج إجبارية قبل أي منصب ثابت، أما الفتاة اليابانية فإن أهم وظيفة لها هي نجاحها في أسرته فيقدم لها برامج تربوية عملية ضمن النظام التربوي الرسمي تعلمها كيف تصبح زوجة ناجحة.
- 6- استطاعت اليابان أن تجمع بين شعبية التعليم وأرستقراطيته العلمية الفكرية، بمعنى أن التعليم أتيح للجميع في قاعدة الهرم التربوي لتزويد الأمة بالأيدي العاملة المتعلمة لكنه اقتصر في مستوى القمة على القلة الممتازة عقلياً والمتفوقة في مواهبها لتخريج النخبة القيادية والقادرة على مواجهة التحديات.
- 7- لم تأخذ اليابان ولم تنبهر باللغات الأجنبية المتقدمة، وحسمت معركة اللغة تعليمياً وحياتياً منذ البداية. فمن المعروف أنه لا يمكن لأمة أن تبدع علمياً إلا بلغتها الأم، ولا يستمع العالم لأمة تتحدث بلغة غيرها.
- 8- وفق النظام التربوي الياباني بين مركزية التوجيه ولا مركزية التنفيذ في معادلة متوازنة.
- 9- تعد مهنة التدريس من المهن المربحة اقتصادياً، فمن بين خمسة يابانيين يتقدمون لمهنة التدريس يفوز واحد منهم فقط بشرف المهنة وامتيازاتها المعيشية. وقد أدى ذلك إلى الحفاظ على مستوى نوعي متفوق للتعليم الياباني، أدى بدوره إلى تنمية نوعية العملية التربوية بأسرها..
- 10- لم تُسَق اليابان وراء نزعة تحويل الثقافة العامة للأمة إلى منشط من مناشط الإعلام كما حدث في كثير من بلدان العالم الثالث، بل بقت مهمة دعم الثقافة العامة في اليابان من مسؤوليات (وزارة التربية والعلوم والثقافة) (9).

خلاصة عامة:

بتدقيق النظر في التجربة اليابانية، فإننا لا نندهش من هذا التقدم الذي يقف أمامه العالم كله مذهولاً، مندهشاً ففي أميركا وأوروبا وروسيا يعكف أهل العلم والتقدم والتكنولوجيا على دراسة الإنجاز الاستثنائي لهذا البلد الشرقي الذي ينافسهم في أمضى أسلحتهم ومخترعاتهم، كما يثير تقدم اليابان دهشة الشرقيين وإعجابهم، دون أن يتمكنوا من اللحاق به على كثرة ما حاولوا وجربوا. ونحن العرب نتساءل: لماذا تعزينا اليابان، وهي في شرق آسيا، وبيننا وبينها آلاف الأميال ؟ ويمكن القول أن لدى العرب أهمية خاصة لدراسة تجربة اليابان للأسباب التالية:

اليابانيون قوم شرقيون مثلنا بدأوا مسيرتهم نحو التقدم من واقع العزلة والتخلف الحضاري كما بدأنا في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، ولكن شتان ما بين بداية وبداية، فلماذا هذا الفارق الشاسع بيننا؟!

اليابان حققت التحديث والتقدم بالمحافظة على تراثها وتقاليدها ومؤسساتها القومية والدينية الأصلية، والعرب يريدون أن يحققوا التقدم والتنمية دون التضحية بتراثهم وتقاليدهم، لكنهم لم يتمكنوا حتى الآن لا من تحقيق المطلوب الأول وهو التقدم، ولا من الحفاظ على التراث كما يجب!!

اليابان تمثل طليعة قوة بشرية حضارية هائلة جديدة توشك أن تتسلم زمام القيادة العالمية من الجنس الأبيض، وهي قوة شرقية ليست لها أطماع بالنسبة لنا.. ونحن العرب نقف هنا موقف المتفرج المشجع!!

يفسر المراقبين حالة «إدمان العمل» التي يلاحظونها على إنسان اليابان المعاصر بأنها تعود في جزء كبير منها إلى تأثير التربية التي ركز عليها نظام التعليم منذ الصغر. فقد وفرت هذه الجرعة المؤثرة شحنة مستديمة عند اليابانيين إلى درجة تجعلهم يخشون عدم العمل، فهم يدركون تمام الإدراك أن توقفهم عن العمل يعني أن بلدهم سيتوقف عن الوجود! ومن ثم فلا بد للأمة من خطة حضارية واضحة المعالم والغايات تتفق عليه الصفوة المثقفة والعقول الواعية مع الأجهزة الرسمية في الدولة، لأن مثل هذه الخطة ستكون بغير قيمة إذا انطلقت من غير أحلام الأمة أو انبثقت عن جهة غريبة عنها. ولا بد من أن تصبح الخطة التعليمية جزءاً عضوياً من الخطة الحضارية للأمة، بحيث تتمثل في مفرداتها روح هذه الخطة ويكون محققاً لها وموصلاً إليها. ولكي تحقق الخطة التعليمية الحالية الشرط السابق لا بد من مراجعة شاملة وتصحيح أساسي في المضمون والأسلوب؛ فأما في المضمون فتجدر مراجعة كل الجزئيات لتعاد صياغتها بما يخدم التوجه الجديد، وأما في الأسلوب فلا بد من نبذ الأساليب التقنية التي تعطل ملكة التفكير وتشل القدرة على الإبداع. لا ينبغي أن يكون المطلوب من الدارسين استظهار معلومات لا يلبثون أن ينسوا أكثرها عن قريب، بل تنمية حاسة التعلم، وتطوير القدرة على البحث، وتعليم التفكير، وتنمية الإبداع والابتكار. أما تركيز التعليم على تقديم المعلومات بمعزل عن تربية القيم فسوف يقود إلى إجهاض الخطة برمتها وتفريغها من محتواها لتصبح شبحاً بغير روح. ولعل هذا التأكيد لا يكون غريباً على المؤسسة التي آثرت أن يكون اسمها وزارة التربية والتعليم ولم يقتصر على التعليم فقط..

إن «المؤسسة التعليمية» هي أضخم تشكيل في جسم الأمة، فهي تضم نحو ثلث سكان الدولة، أما حجم الإنفاق على هذا القطاع فيكاد يصل إلى ربع موارد الدولة، فإذا عجزت هذه المؤسسة الجبارة عن أن يكون

لها في خطة الأمة النهضوية الحضارية أعظم الدور وأبلغ الأثر، فحري بالأمة أن تتسى هذه الخطة، وتقتنع ببقائها في الذيل من ترتيب أمم الأرض!.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم الدعمة: التنمية البشرية والنمو الاقتصادي، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، 2002، ص 16، 17.
2. الموسوعة الأميركية ، ج 15 ، ص 695 .
3. موسوعة ويكيبيديا العربية.
4. المرجع السابق.
5. المرجع السابق.
6. خالص جليبي: أثر التعليم في التحرر (النموذج الأفغاني والنموذج الياباني)، جريدة الشرق الأوسط، الأربعاء 28 جمادى الآخرة 1421 هـ 27 سبتمبر 2000 العدد 7974 .
7. خليل حسن : مفكرة سفير عربي باليابان، الأخلاقيات التجربة اليابانية، الأهرام العربي: السبت 10 / 3 / 2007، العدد 520.
8. عبد الله بن جمعان الغامدي: الاقتصاد السياسي للتنمية في اليابان دراسة في تحليل أسباب النهضة، المجلة العلمية - كلية التجارة - جامعة أسيوط العدد الثالث والأربعون، ديسمبر 2007.
9. مصطفى رجب: قراءة في التجربة اليابانية - التعليم أنموذجا، جريدة الثورة، الخميس 28/4/2005م.